سلسلة

كليلة ودمنة للأطفال

السائح والصائغ

بقلم أ/ محمد محمد العبد

رسوم وإخراج/هشام حسين

الناشر

دار الصحابة بطنطا

للنشر - والتحقيق - والتوزيع

شارع المديرية - امام محطة بنزين التعاون ت/٣٣٣١٥٨٧ تليفاكس/٣١٢٢٧١ ص.ب ٤٧٧

977 – 272 – 687 – 4/ I.S.B.N

الطبعة الأولى ١٩٩٩م - ١٤٢٠هـ

موقعنا على الانترنت : WWW.DSAHABA.COM

97





يُحكى أنَّ قافلةً للتجارة، خرجت منْ بلادها، تُريدُ بيع ما تحملُ من بِضَاعةٍ، لتحْصيل الربح، الَّذى يعتمدونَ عليه فى معَاشهم.

- ولكىْ تصلَ القافلةُ، إلى سُوق المدينة، التى يبيعُونَ فيها بضاعتهم، كانَ من الضَّرورىِّ اجتيازُ صحراءَ واسعة مُمتدة الأطرافِ، وعرة[1] المسالك، يحتاجُ المُسافر فيها إلى الوفْرة من الطعام والماء.

- وأىُّ نقْصٍ فى الزَّاد والماء، يُعرِّضُ القافلةَ رجالها ودوابها إلى الجُوع والعطش، فيهلكوا عن آخرهم

- لذَا اعتادت القوافل، التى تجتاز هذه الصَّحراء أنْ تحمل معَها، ما يكفيهم من الطعام، أمَّا الحاجة إلى الماء فكانت تشتد، كلما أوغلت[2] القافلة فى أرض الصَّحراء.

---

[1] وعرة المسالك: صُلبة الطُّرقات.



- انطلقت هذه القافلة، وقطعت مسافات طويلةً فى عُمق الصحراء، وحين أجهدها التَعبُ، ولحقتْ بها المشقةُ تنادى رجالُها، ليوقفوا المسير، ويحطُّوا الرِّحالَ، حتى يستريحُوا، ويستعيدُوا نشاطهم، ويجددوا قُدرتهم فيستأنفُوا سيرَهم.

- نزلتْ القافلة، واتخذت لها مكاناً، يقضون فيه راحتهم

- نظرَ أحدُ أفراد القافلة، فرأى بالقرب منهم مكاناً تكثُرُ فيه أعْشابٌ شديدةُ الخُضْرة فاطمأنَّ إلى أنَّ هُناك عيناً ينبعُ منها الماءُ.

- انطلقَ الرَّجلُ صَوبَ(١) هذا المكان، فوقع نظره على آثارِ بئر مطمورة(٢)، منْذ زمنٍ بعيد، فأخبر رفاقه بما رأى فتشاوروا على إعادة البئر إلى ما كانت عليه، وتعاونوا على إخراج ما فيها منْ رمالٍ، وواصلوا

(١) صَوْب: جهة.
(٢) بئر مطمورة: غطتها الرِّمال.



جهدهم حتى ظهر الماءُ فى قاع البئر.

- فشربوا من مائها، وسقوا إبلهم، وحملوا معهم من الماء، ما يمنع عنهم العطش، حتى يصلوا إلى سوق المدينة التى يريدُونها، فما أشق السَّفر فى الصَّحْراء، حيثُ وعورة الطريق، وقلة الماء.

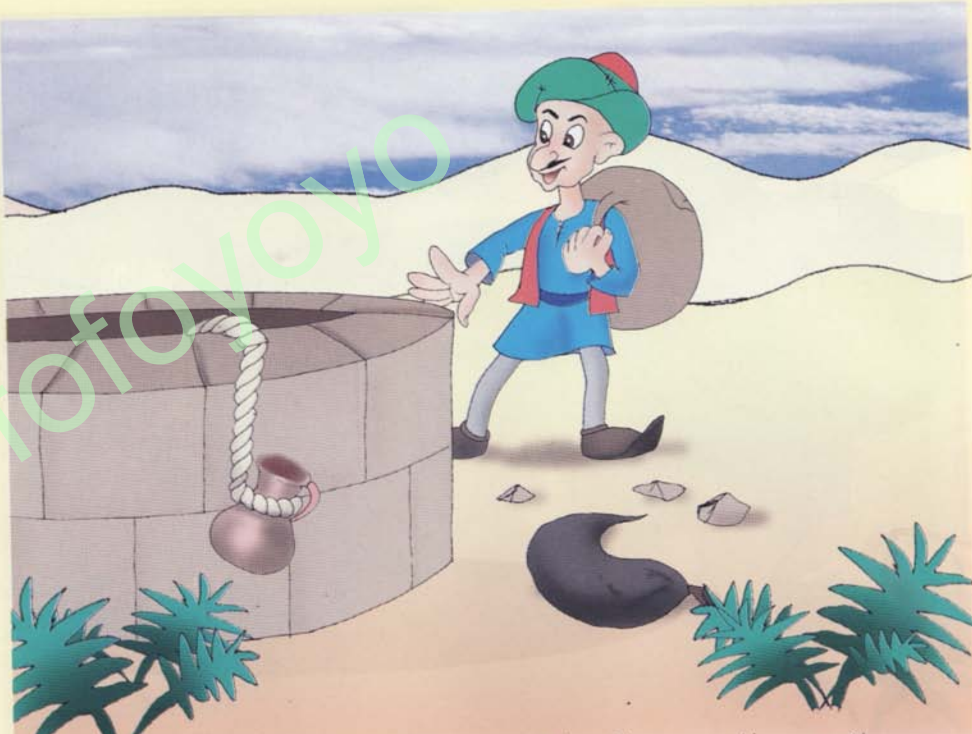
- استأنفت القافلة سيرها فى الصَّحراء، بعْدَ أنْ وضعُوا بضَاعتهم على ظهُورِ الجمال، واستاقوها أمامهم، وكلهم أملٌ فى أنْ تجد تجارتُهم رواجاً، فيتحقق لهم ربحٌ وفيرٌ ينْفقون منهُ - إذا رجعوا إلى أهلهم.

- انطلقت القافلة، وتوغلتْ [1] فى سيْرها، وغابت فى أعماقِ الصَّحراء.

- ولمْ يقتصرْ السيْرُ فى الصَّحراء على قوافل التجارة وحدها، وإنَّما يجتازها - أيضاً - سُيَّاحٌ [2] من طبقاتِ العُلماء والباحثين الَّذين يأتون من

(١) توغلت: أبعدت.

(٢) السَّائح: المتنقل فى البلاد للتنزه أو للاستطلاع والبحث.

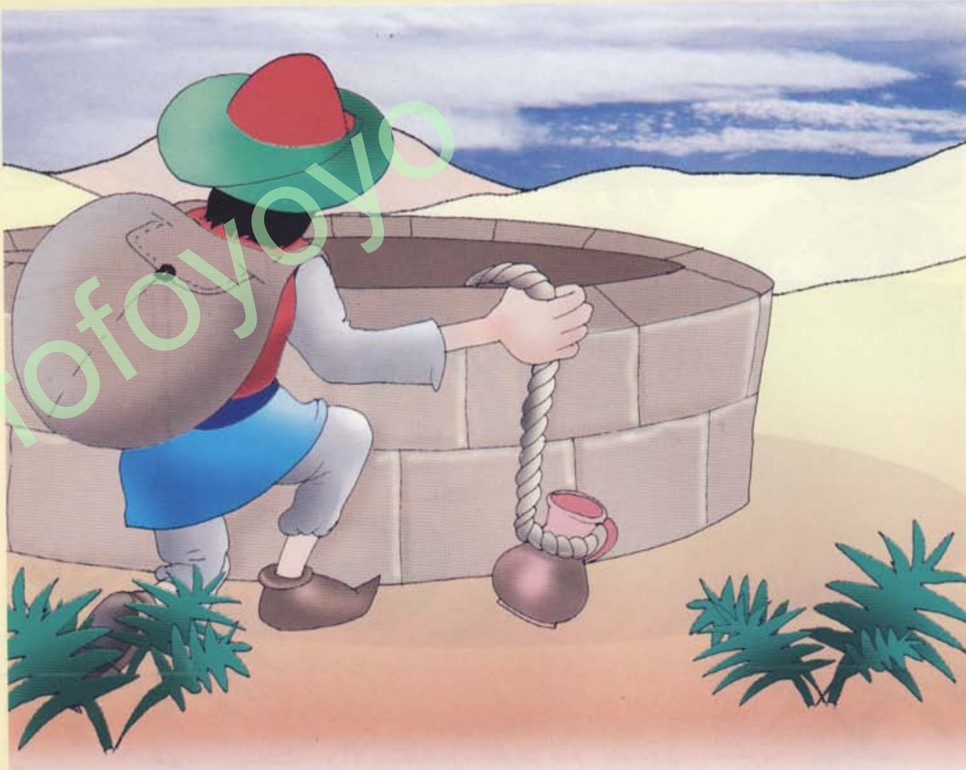


بلادهم، للبحث والاستطلاع، وهؤلاء يفيدون البشرية بأبحاثهم وخبراتهم.

- وفى يوم من الأيام، اجتاز أحدُ هؤلاء السُّياح الصَّحْراءَ التى مرت بها القافلةُ.

- ولما كانت رحلة الصَّحراء، شاقةً، والسَّائر فيها عُرضةً، للعطش الشديد، أصْبح مِنْ أهمِّ ما يبحثُ عنه هُوَ الماءُ حتى يُؤمِّن نفسه، ويحفظها من الهلاك.

- وبينما كانَ هذا السَّائح يسير فى الصَّحْراء، خطرت له فكرةُ البحث عَنْ مصْدرٍ للماء، فى تلك الصَّحْراء الموحشة فساقتْه قدماه إلى حيثُ مكان البئرِ التى ظلتْ وقتاً طويلاً مُغطاةً بالرمال، لا يفطن إليها أحدٌ ممن يجتازونَ هذه الصَّحْراء، سَواءٌ من قوافل التجارة، أو من العابرين أرضها للسياحة أو للصَّيْد.



ـ نظر السَّائح أمامه، فرأى هذه البئرَ، ووجد بجوارها آثاراً ومُخلَّفاتٍ، تدلُّ على أنَّ قوْماً مرُّوا بالمكان، ولابد أنهم بذلوا جُهداً كبيراً، فى رفع الرِّمال عَنْ هذه البئر، حتى ظهر فيها الماءُ.

ـ وأنَّ هؤلاء قدْ رحلوا عنْ هذا المكان، فى طريقهم إلى تحقيق الهدف الذى عبروا الصَّحراءَ من أجله.

ـ ترددَ السَّائح، وهُو يحاولُ الاقتراب من البئر، خوْفاً منْ أنْ يُصابَ بأذى، وهو لا يدرى ماذا تُخبِّئُهُ تلكَ الأعشابُ الطويلةُ الكثيفة المحيطة بالبئر، وأنها رُبَّما احتوتْ بداخلها إحدى السِّباع أو الوحوش، فيعرض نفسه للهلاك.



ـ وبعد أنْ تأكد للسَّائح، أنَّ المكان خالٍ من كُلٍّ ما يتوقعُ من مكروه، اقترب من البئر، علَّه يُصيبُ شيئاً من مائِها، يُطفئُ به عطشه، ويُروى به ظَمأه.

ـ وبينما كانَ السَّائحُ ينظر من أعلى فى هذه البئر إذا به يُفاجأ بشىءٍ أزعجه، وأصابه باضطرابٍ.

ـ لقدْ رأى بداخل البئر، رجلاً وحيةً وقِرداً وببراً[1].

كانوا قدْ وقعوا فيها، منْذُ مُدةٍ طويلة، وعجزوا عَنْ التوصُّلِ للخروج منْها.

ـ أخذ السَّائحُ يُفكرُ فى أمْرِ هؤلاءِ الأربعة، وقال: ليس هُناك من عَملٍ يعْمله الإنسانُ، ويحصُلُ منه على الثَّواب، أفضلَ منْ إنقاذ نفس

(١) الببر: المعروف بالنَّمر.



هى عُرضةٌ للموتِ، والهلاكِ.

ـ أدْلى السَّائحُ فى البئر حبلاً فتعلق به القردُ لخفته، والقردَة ـ كما نعلمُ ـ من أخفِّ الحيواناتِ حركةً، وأكثرِها نشاطاً، وتسلُّقاً لأعالى الأشجار، والقردُ هُو الحيوان الوحيدُ الذى يتناول طعامه بيديه.

ـ ثُمَّ أدلى السَّائحُ بالحبْلِ مَرةً ثانيةً، فالتفتْ به الحيةُ وخرجتْ من البِئر.

ـ ثُمَّ أدلى الحبلَ للمرةِ الثَّالثة، فتعلق به الببْرُ فأخرجه وبعْد أنْ أخرجهم السَّائحُ من البئر، توجَّهُوا إلى السَّائح بالشكر، على ما قدمهُ إليهم من معروفٍ، جزاءَ حسن صَنيعة، واعترافاً بعمله وجميله.



ـ وأداءُ الشكرِ يستحقه كُلُّ مَنْ يعملُ عملاً، صغيراً أو كبيراً، ولا ينتظر أجراً على ما قدمه، وصُنع المعروف دليلُ الشهامةِ والمروءةِ، ومقابلة هذا بالشكر، علامةٌ على رقةِ الشُعورِ، وعُلوِّ النفوسِ

ـ ثُمَّ إنَّ القِرْدَ والحيَّة والببْر، قالُوا للسَّائح.

إنَّ لديْنَا رجاءً، نأملُ فى تحقيقه على يديْك، قال السَّائحُ:

وأىَّ رجاء هذا؟ قالوا: لا تفكرْ أبداً فى إخراجِ هذا الرَّجُل من البِئْر، فالإنسانُ أقلُّ المخلوقاتِ شكْراً على المعروف.



ـ وقبل أن ينصرف هؤلاءِ الثلاثةُ: قال القردُ للسَّائح إنَّ لى منْزلاً فى جبلٍ بمدينة، تُسمى (نواد رخْت)، ثُمَّ قال الببْرُ: وأنا أسكنُ فى أجمة(١)، قريبة من تلك المدينة، ثم قالتْ الحيَّةُ: أمَّا أنا فأقيم بسور تلك المدينة، فإذا أنت مررت بنا يوماً، فارْفعْ صَوْتكَ بالنداء، فنخرج إليك، لنؤدى إليك جزاءَ ما قدَّمتَ إليْنا منَ المعروفِ.

ـ ثُمَّ إنَّ السائح، خلا بنفسه، بعد أنْ ذهب هؤلاء الثلاثة، وقال: لقد أخرجتُ القردَ والحيَّة والببْرَ منَ البئْر، وأنقذتُ حياتهم، وهَاهُم قدْ ذهبوا لشأنهم فلا علىَّ إذا أخرجتُ هذا الرَّجلَ، وهو ـ ولا شكَّ ـ سيحفظُ لى

(١) الأجمة: المكان الكثير الأشجار.



هذا الجميل، فربَّما احتجتُ إليه في يومٍ من الأيام، فأجد عنده مقابل ما قدَّمتُ مِنْ معروفٍ.

ـ ثُمَّ إنَّ السَّائح أدْلى بالحبل في البئر، فخرجَ الرَّجلُ، وانحنى أمام السائح، شاكراً له ما فعله به.

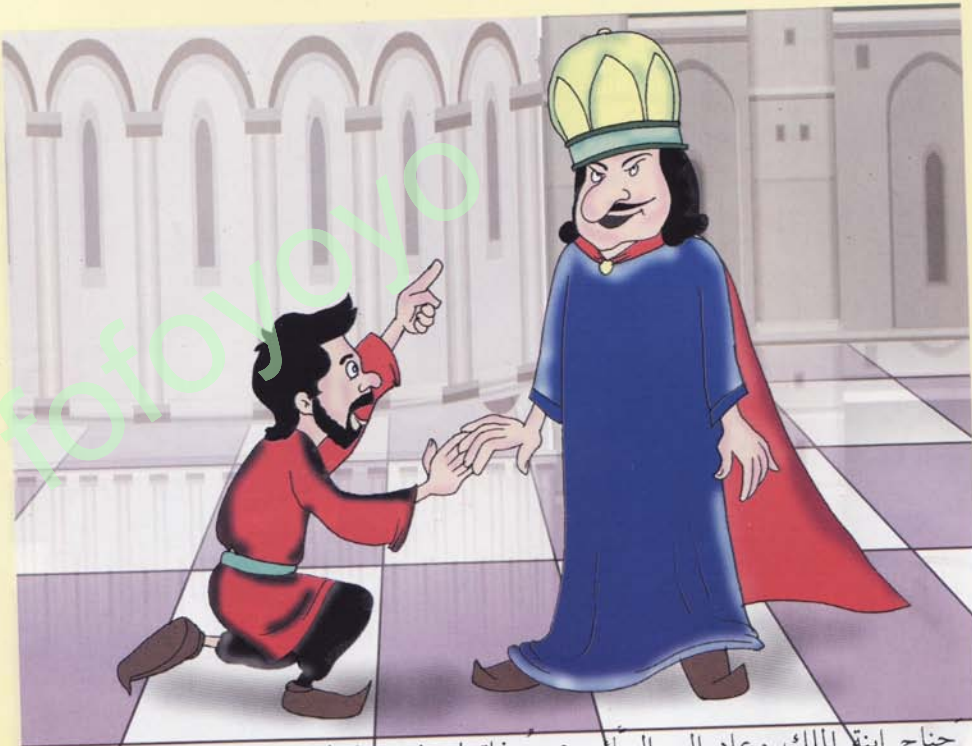
ـ **وقال للسائح**: إذا أنت مررت بمدينة (نواد رَخْت) فاسأل عَنْ منزلي، فأنا أعملُ صائغاً في تلك المدينة، لعلِّي أستطيعُ أنْ أُقدمَ لك شيئاً، مُكافأةً لك على مَعْروفك.



ـ مرَّتْ الأيَّامُ، وبينَما كانَ السَّائحُ يطوفُ بالبلادِ ـ كعادته.

تذكَّرَ أنه قريبٌ من تلك المدينة (نواد رَخْت)، فوجد أنَّ الفُرصةَ مُهيَّأةٌ لأنْ ينزلَ ضيفاً، فى رِحَاب هؤلاء الأربعة فيجدِّد ما بينه وبينهم من صداقة ومودَّة.

ـ وعندما دخل السَّائحُ إلى مدينة (نواد رَخْت)، قابلهُ القِرْدُ، فانحنى له، وقبل رجليه، وقال له: نحنُ معاشرَ القردة ـ لا نملكُ شيئاً ـ نقدمه طعاماً للضيف، فانتظرنى قليلاً حتى أعودَ إليكَ، وبعد قليلٍ رجع إليه بفاكهةٍ فقدمها إليه، ثُمَّ رآه الببرُ، فانحنى له، وقالَ للسَّائح: أمهلنى حتى أعُودَ إليكَ، ثُمَّ إنَّ الببر ذهب من فَوْره، إلى قصرِ الملكِ، فتسلل إلى



جناح ابنة الملك وعاد إلى السائح بمصوغاتها، فقدمها إليه، والسائح لا يعلمُ عنهَا شيئاً، ففكَّر فى أنْ يسْألَ عَنْ مَنْزِلِ الصَّائغِ لعلَّه يجدهُ، فيعْرِضَ عليه تلك المصُوغات، وبالطبع فالصَّائغُ بخبرته أقدرُ على معرفة قيمتها، ولَمَّا وصل السَّائح إلى منزل الصَّائغ، رحَّبَ به وحين عرضَ السَّائحُ المصُوغاتِ عليه، عرف الصَّائغُ أنها لابنةِ الملك فلم يسألْه الصَّائغ من أين أتى بها، واستأذن الصَّائغُ من السَّائحَ، وأفهمه أنَّ ما عنده من طعامٍ لا يصلحُ أنْ يُقدمَ لضيفٍ مثْله، وأنَّه ذاهبٌ إلى السُّوقِ ليشترى طعاماً، ثُمَّ انطلق إلى قصر الملك وهُوَ يمنّى نفسه بمنزلة عنده، وأخبره بأنَّ الَّذى سَرَق مَصُوغاتِ ابنته عنده فى المنزل، وأنَّه احتجزه عنده فما كان من الملك إلاَّ أن بعث فى طلب السَّائح، ولم يُمهله حتى يُوضِّحَ له الأمرَ، وإنَّما أمر



بأنْ يُعذَّبَ ويُصْلبَ، فأخذ السَّائح يبكى ويُصيحُ بأعلى صَوْته، ويقول:

ليتنى أطعتُ القردَ والحيَّة والببْرَ، فى عدم الإحْسان إلى الصَّائغ، وإخْراجه من البئر، فسمعتْ الحيَّةُ صوته، فجاءتْ إليه فعرفته، ثُمَّ انطلقت إلى قصرِ الملك فلدغتْ ابنَه وهُو نائِمٌ واشتد غضب الملك، وبعث فى طلب مشاهير الأطباء لعلاج ابنه ثم ذهبتْ الحيَّةُ إلى أخْتٍ لها مَنَ حيات الجن، وقصَّتْ عليها ما حدثَ، فانطلقتْ الأخت إلى ابْن الملك فظهرت له فى المنام، وقالتْ له: لا يستطيعُ أحدٌ شفاءَكَ، إلاَّ الرَّجل الَّذِى ظُلم عندكمْ، ثُمَّ جاءتِ الأختُ من الجنِّ إلى الحية، فأخبرتها بما حدث، ثُمَّ



أعطتْها ورقة شجرة، وقالتْ لها: أعطيها للرَّجل، فإنَّ فى مائها شفاءً لابْن المَلِك، وأخبر ابْنُ الملكِ أبَاه، فأمر بإحضار الرَّجل، وطلبَ منه أنْ يرقىَ ابنه، فقدمَ السَّائحُ ماءَ هذه الورقة، لابن الملك فشفى - بإذْن الله تعالى - ثُمَّ سأل المُلك هذا السَّائحَ عن قصَّته، فأخبَره بما حدثَ وأنه بريءٌ مِمَّا نُسِبَ إليه فأمرَ الملكُ بأنْ يُصلبَ الصَّائغُ مكانَه، **﴿وسيعلمُ الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾** [سورة الشعراء الآية: ٢٢٧]

الدروس المستفادة

١ـ ليسَ هُناك أعظمُ من ثوابِ مَنْ ينقذُ نفساً تعرَّضتْ للهلاكِ.
٢ـ ردُّ الجميل، والإحسانُ إلى من يصنعُ المعروف دليلُ الشَّهامة والمرُوءة.
٣ـ توجيهُ الشكرِ إلى مَنْ يفعل المعروفَ يقوِّى العلاقات الإنسانيةَ.
٤ ـ ينبغى للإنسانِ ألاَّ ينْدمَ على صُنع المعروفِ، فجزاؤُه عند الله.
٥ ـ تقديمُ المعروفِ لمن يستحقُّه.
٦ـ الغدْرُ وعدمُ الاعتراف بالجميلِ، دليلُ الخِسَّة والدَّناءة.
٧ـ عدمُ معاقبة أىِّ إنسْان، دُونَ التحقق من جرَيمته فربما كان بريئاً.
٨ ـ استشارةُ الأطبَّاء ضروريةٌ، وإتمامُ الشفَاء بإذْنِ الله تعالى.
٩ـ وضعُ المعروف عنْد ذوى الوفَاءِ والكرمِ دليلٌ على صَواب الرَّأىِ.
١٠ ـ إنْ ضاعَ المَعروفُ عندَ النَّاسِ، فإنَّه لا يضيعُ عندَ الله.



